



يقولون: إن شباب العرب شيخوخة الهم والعزائم، فالشبان يمتدون في حياة الأمم، وهم ينكحشون.
وإنَّ اللهو قد خفَّ بهم حتى ثقلت عليهم حياة الجدِّ، فأهملوا الممكناًت فرجعت لهم كالمستحبلات.
وإنَّ الهزل قد هُوَنَ عليهم كُلَّ صعْبةٍ فاختصروها؛ فإذا هُزُوا بالعدو في كلمة، فكأنما هُزموا في معركة....
وإنَّ الشابَّ منهم يكون رجلاً تاماً، ورجلةُ جسمه تحتاجُ على طفولة أعماله.

ويقولون: إنَّ الأمر العظيم عند شباب العرب لا يحملوا أبداً بعثةً أمراً عظيم.
ويزعمون أنَّ هذا الشباب قد تمتَّ الألفةُ بينه وبين أغلاطه، فحياته حياة هذه الأغلاط فيه.
 وأنَّه أبعَرَ مقلَّدَ للغرب في الرذائل خاصة؛ وبهذا جعله الغرب كالحيوان محصوراً في طعامه وشرابه ولذاته.
ويزعمون أنَّ الزجاجة من الخمر تعمل في هذا الشرق المسكين عمل جنديٍّ أجنبيٍّ فاتح...
ويتوافقون بأنَّ أولَ السياسة في استعباد أمم الشرق، أن يترك لهم الاستقلال التام في حرية الرذيلة...
ويقولون: إنه لا بدَّ في الشرق من آلتَين للتخييب: قوةُ أوروبا، ورذائل أوروبا.
يا شباب العرب! مَنْ غَيْرُكُمْ يُكَذِّبُ ما يقولون ويزعمون على هذا الشرق المسكين؟
مَنْ غَيْرُ الشباب يضع القوة بإزاره هذا الضعف الذي وصفوه؛ لتكون جواباً عليه؟
مَنْ غيركم يجعل النفوس قوانينَ صارمة، تكون المادة الأولى فيها: قَدْرُنا لأننا أردننا؟
ألا إنَّ المعركةَ بيننا وبين الاستعمار معركةٌ نفسية، إن لم يقتل فيها الهَزُّ قتل فيها الواجب!
والحقائق التي بيننا وبين هذا الاستعمار إنما يكون فيكم أنتم بحثها التحليلي، تكذب أو تصدق.
الشباب هو القوة؛ فالشمس لا تملأ النهار في آخره كما تملؤه في أوله.
وفي الشباب نوع من الحياة تظهر كلمة الموت عنده كأنها أختُ كلمة النوم.
والشباب طبيعةُ، أولُ إدراكاتها الثقة بالبقاء، فأولُ صفاتها الإصرار على العزم.
وفي الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها، وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلها إلا خشبًا...
يا شباب العرب! اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق عزيزاً، وإما أن تموتوا.

أنقذوا فضائلنا من رذائل هذه المدينة الأوروبيّة، تنقذوا استقلالنا بعد ذلك، وتنقذوه بذلك.

إن هذا الشرق حين يدعو إليه الغرب، {يَدْعُو لِمَنْ ضَرُهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِسْ الْمَوَلَى وَلَبِسَ الْعَشِيرِ}. [الحج: 13].
لَبِسَ الْمَوَلَى إِذَا جَاءَ بِقُوَّتِهِ وَقُوَّاتِهِ، وَلَبِسَ الْعَشِيرِ إِذَا جَاءَ بِرِزَائِهِ وَأَطْمَاعِهِ.

أَلَيْهَا الشَّرِقِيُّ! إِنَّ الدِّينَارَ الْأَجْنَبِيَّ فِيهِ رِصَاصَةٌ مُخْبُوَةٌ، وَحَقُوقَنَا مَقْتُولَةٌ بِهَذِهِ الدِّنَانِيرِ.

أَلَيْهَا الشَّرِقِيُّ! لَا يَقُولُ لَكَ الْأَجْنَبِيُّ إِلَّا مَا قَالَ الشَّيْطَانُ: {وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}. [إِبْرَاهِيمٌ:
.22]

يا شباب العرب! لم يكن العسيرة يعسر على أسلافكم الأولين، كأنَّ في يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها.
أتريدون معرفة السر؟ السرُّ أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق، فصاروا عملاً من أعمال الخالق.

غلبوا على الدنيا لما غلبوا في أنفسهم معنى الفقر، ومعنى الخوف، ومعنى الأرضي.

وعلّهم الدين كيف يعيشون باللذات السماوية التي وضعت في كلِّ قلبٍ عظَمَتَهُ وكبرِياءِهِ.
واخترعمهم الإيمان اختراعاً نفسياً، علامته المسجلةُ على كلِّ منهم هذه الكلمة: لا يذلُّ.

حين يكون الفقر قلة المال يفتقر أكثر الناس، وتتحذل القوة الإنسانية، وتهلك المواهب.

ولكن حين يكون فقر العمل الطيب، يستطيع كل إنسان أن يغتنى، وتبعد القوة، وتعمل كلُّ موهبة.

وحين يكون الخوف من نقص هذه الحياة وألامها، تفسر كلمة الخوف مائةً زينة غير الخوف.

ولكن حين يكون من نقص الحياة الآخرة وعداها، تصبح الكلمة قانون الفضائل أجمع.

هكذا اخترع الدين إنسانه الكبير النفس الذي لا يقال فيه: انهزمت نفسه.

يا شباب العرب! كانت حكمة العرب التي يعملون عليها: اطلب الموت تُوهَب لك الحياة.

والنفس إذا لم تخش الموت كانت غريزة الكفاح أولَ غرائزها تعامل.

وللكفاح غريزةٌ تجعلُ الحياة كُلَّها نصراً؛ إذ لا تكون الفكرة معها إلا فكرةً مقاتلة.

غريزة الكفاح يا شباب، هي التي جعلت الأسد لا يُسمِّنُ كما تسمِّن الشاة للذبح.

وإذا انكسرت يوماً فالحجر الصَّلَدُ (الصلب) إذا تَرَضَرَضَتْ (تكسرت) منه قطعة كانت دليلاً يكشف للعين أن جميعه حجرٌ صلد.

يا شباب العرب! إن كلمة (حق) لا تحيى في السياسة إلا إذا وضع قائلها حياته فيها.

فالقوة القوة يا شباب! القوة التي تقتل أولَ ما تقتل فكرة الترف والتختُّ.

القوة الفاضلة المتسامحةُ التي تضع للأنصار في كلمة (نعم) معنى نعم.

القوة الصارمة النَّفَاذَةُ التي تضع للأعداء في كلمة (لا) معنى لا.

يا شباب العرب اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق عزيزاً، وإما أن تموتوا.

المصدر: موقع الدرر السنّية، نقلأً من: وحي القلم

المصادر: